

استقرارات نقدية إبستمولوجية لمعابر اللغة اللسانية

د. مصطفى عبد القادر¹¹ جامعة ابن خلدون 2 - تيارت- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2022/03/31 تاريخ القبول: 2022/04/02 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص باللغة الأجنبية :

Dabord, vient l'indépendance de la philosophie moderne, dans un contexte parallèle connectivité, comme une mission de développement "statut" langage fonctionnel et renvoyer cela à l'histoire de languistique, même le theme aux niveaux methaphisique, ensemble un phénomène comme tous les alphapete...

Partie de son transfert de la procédure en faveur des «conditions matérielles» toujours la langue en tant que cadre général, pour la communication comprend la parole, avec l'entrée de nouvelles connotations dans l'expression.

Sur la philosophie de la réunion académique, generalment pré-science nous amène directement à la "Introduction" à travers le genre d'influence de l'étude, ou de transférer une influence, vue perspicace du comportement humain.

ملخص باللغة العربية:

إن ما جاءت به الابستمولوجيا لا يمكن - بأي حال من الأحوال - عزله عن المستجد الذي أتت به العلوم الإنسانية، فهذه الأخيرة راجعت خطاب الألسنية، مما أسهم في " أدلجة " الأسس الإبستمولوجية التي عبّدت بدورها الطريق لمنطلقاتها المنهجية؛ مع إقحام استقرائية فلسفية لسانية، وصبغها بالأسلوبية البنائية التحليلية، ومنه ترجمتها مع مسألة اللغة كمحور للنظر " الأنثرو أركيولوجي " بجوار مخابر تطبيقات التعاطي اللساني مع الحواجز البسيكو- السوسيولوجية، وقد حان الوقت لتأويلية من طراز خاص لتلك التداولية اللغوية؛ حول العلامات كما كرستها ميتودولوجيا البحث اللساني؛ وطرائق التناول الوقائي للحوادث الكلامية.

إليك أهم الكلمات المفتاحية: فلسفة اللغة- إبستمولوجيا خاصة- لسانيات عامة- البنيوية- التفكيكية

تقديم إشكالي ..

الظاهر أن لفلسفة اللسانيات علاقة متشعبة بابستمولوجيا العلوم، وفي السياق نريد أن نميز ماهية المعنى السيكلوجي عن السوسيولوجي في إسقاطات اللساني على الإنساني، لأجل إزالة لتلك الأسوار المستحدثة بين الميتودولوجيا والابستمولوجيا، وحتى يتكامل هذا الإسهام البسيط، فإن المطلوب بعد الخروج من تسمية المتناظر من الثنائيات التي تتجاذب الإشكالية الرئيسية، بيان حجم إسهام العلوم اللسانية في الكشف عن ماهوية نفسانية ومجتمعية لمعاني تلك الدلالات اللغوية؛ ولنا أن نتساءل ما الذي يطبع الظاهرة اللسانية في تقابليتها الإنسانية ثم في تجاوزها للعوائق الابستمية؟ هل يا ترى بينها تفاضل أم تكامل؟

إسقاطات اللساني على الإنساني :

غالبية خبراتنا حول العالم توضحها لنا اللغة، و"حيث أن الشكل الإنساني يجد تعبيره التام في اللغة وفقط"¹

فإن أهمية اللغة اللسانية تكمن دوما في أنسنتها لفكرة "الكلام" فمنذ مدة وهم - أي علماء اللغة الألسنية - يفترضون منذ

البداية وجود "عالم" نعيش فيه، قائم على فكرة "التضمن" التي هي فكرة يُعاد إحيائها مع ظهور نماذج سيمولوجية مع التوليدية؛ البنيوية؛ التحليلية...

متما سلما بجدوى الدراسة الاستيمولوجية فإن هناك من أجاب بالإيجاب فيما يخص إمكان فضّ إشكال رسم الحدود بين الإنساني واللساني؛ لعل ذلك كان بحكم العمل على إبراز الاحتكاك الفعلي للعلاقات المتبادلة بين الأقسام والفروع في كليهما، وعليه فإن مهمة فلسفتنا كما كانت دوما تصير التأليف بين الحقائق في نظرية ترصد احتمالية عقد ابستيمو-لساني، ولكن المفارقة الأخرى أن الاستيمولوجيا هي مالكة النقد تسير في اتجاه اندراجي مع المدى التداولي "التوزيعي" للغة ما.

بالتأكيد أن العلوم الإنسانية ميدانها أكثر رحابة غير أن فروع اللسانيات تفتحم جميع الحقول المعرفية لها تقريبا، مما يقلل من الخصومة الافتراضية كما توحى به فلسفة لغوية مُجددة لموضوعها، ومُنفتحة على آراء ومُحاولات جريئة لاستعادة الأكسيولوجيا والإستيتيقا - وغيرهما - بعضها من أمجادها.

إن اللسانيات المتناصبة بكل بنيويتها، ومع كل توليديتها يمثل حضورها الإنشائي نموذجها التفكير الإنساني اللاتجريدي، مادامت علوم الإنسان بالضرورة تعنى بأحوال النفس والاجتماع البشريان، ثم إن إدراك المعاني، والعلاقات القاعدية الاتصالية بينها يمر حتما عبرهضم حقيقة التعريف المنطقي البديهي من أن اللغة أوسع من الكلام وبالتالي لزم ضرورة فقها، بما يعني أن اللسان لسان القواعد والمناهج يُعين الفرد - كما الجماعة - على صقل المعاني المركزية للبناءات التركيبية النسقية الحوارية بما يُتيح إعطاء تصورات أكثر عمقا وملئمة للواقع عن طبيعة اللغة البشرية.

الحاصل أن الدراسات المقارنة نفسها لطالما قامت مقام التجريب إذ أن المقارنة كممارسة غرضية مستعارة من العلم ومطبقة في محيط علوم الإنسان وشقيقتها علوم اللسان ولا أحد يتحفظ عليها، وحيث أن العلوم الاجتماعية كلها تلعب دورا هاما جدا في فهم التفسيرات بما يضاهي - على الأقل بالنسبة لأصحابه - الدور الذي تلعبه التجربة في التقصي عن ظواهر الطبيعة، غير أنه أكثر من مفارقة واقعة من الناحية المنهجية في حيّز المبحث اللساني ذاته ذلك أن اللسانيات ذاتها تمزج بين المنهج الإنساني السلوكي كما فعل شومسكي والعقل التجريبي (كما في التركيب المخبري للصوتيات) وكما يفعل سواه من الألسنيين؛ فهم لا يرون بأسا من العودة إلى بعض المسائل التي أثرت سلفا من طرف كبراء الفلسفة العتيقة.

إن معطيات علوم اللسان والدلالة، القابلة للاستنتاج ابستيمولوجيا في علوم التخصصات الضيقة للأنثروبولوجيا للبسيكولوجيا والسوسولوجيا يظهرونها طوّرت معجمها اللغوي من خلال التأثير بالنقد الحوارية البيئي الذي يتخذ في أحيان عديدة من الألفاظ والجمل، ومن فهم دلالاتها أداة قائمة بحد ذاتها في وسم البحث بأنه ألسني الصبغة سواء أكان بحثا عن المعاني أو في صلب المقاصد الإمبريقية الكبرى؛ فالمجال السيميوطيقي أو السيمات السيمولوجية لها ذلك النزوع الإنساني، ولربما ينبغي عليهما الطابع المركب المتكأ على صيغ الروايات العلمية.. واللسانيات إذا فهمت على أنها دراسة نظام فونولوجيا اللغة في الجانب النفسي أو الاجتماعي فإننا نكون بصدد الارتقاء وإيّاها بالحدث الكلامي لتكون لهذا الأخير قوانينه المستقلة، بيد أن العلم في حلتها "الإنسانولوجية" تلك لم يزل في طور التوصيات أمام تعدد طرق البحث لموضوع تتسع تتعدد إصداراته.

العلامات البسيكو-سوسولوجية :

كلنا رأى كيف ميّز دو سوسور بين "لسانيات اللغة، ولسانيات الكلام"² في دروسه في اللسانيات العامة بما ينطوي على استوعاب للأصول المتقدمة (الجزرية) للألسنيات، باعتبارها صارت مهمة لدراسة حوادث إنسانية، واجتماعية

ومن شأن تلك المحاولة إحياء مسوغات تخريجات اللغة الطبيعية العادية والمثالية بأدوات أخرى غير الانثروبولوجية، ومنه التفتيش عن إحداثيات البُعد النفسي والاجتماعي فيها على غرار الإقرار بتأثير القواعد السماعية أو القياسية على التحولات اللسانية.

بالمناسبة لم تعد اللغة وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم الشمولية على حساب المضامين والمعاني الفعلية، بل أضحت تتماس انتظاماتها الفونولوجية التعبيرية، مع أحوال الذوات الناطقة ومحيطها حياتياً برغم حالات التنافي الظاهرة، ومن نتائج هذا التماس التماهي بمعنيين أوعده معاني مما يُساعد على تجديد التبريز التعبيري والتبليغي الذي يُساعد بدوره على الفهم والإفهام، كما لم يعد الكلام فقط مُجرد انعكاس للتفكير بحيث تفقد اللغة وظيفتها كوسيلة اتصال أوتقارب في معترك الحياة؛ بل العكس أيضاً سليم وهذا ما يُعزز على سبيل الإشادة من حميمية الآلاف بل ملايين الجمل التداولية من ناحية المبنى؛ ولجهة المعنى بعلمها "الترادفية" سواءً النفسانية منها أو الاجتماعية.

لا يمكن لنا أن نقوم بفصل الدراسة اللغوية عن باقي الدراسات الإنسانية لا سيما مع علمي العصر الإنسانيان " النفس " و " الاجتماع " حتى مع تنامي موجة القطاعات المعرفية الشهيرة والمنادية بنفي قيم الاتصالية في تاريخ علم فقه اللغات؛ أمّا التناول العلمي الخاص للظاهرة اللسانية، التي فيها في كل الأحوال من هذا وذاك فإنه قد فرض نفسه على العلوم المذكورة، تماماً مثلما فرضت الاستيمولوجيا نفسها عليها وعلى رياضيات علوم المادة، وكذا على " حتميتها " بل وعلى الفلسفة نفسها.

تلكم الوظيفة التفاعلية المُراد تحديدها فيما بين تقلبات الذات النفسية؛ وبين انعكاساتها الاجتماعية إنما هي تركيز على البصمة النفسية للصوت؛ وفي نفس الوقت الإصرار على الاحتكام إلى مُقررات " الخارج " بما يُهيئ الفرص لتقليص مساحة التمايز الجوهرية بين الذاتي والموضوعي دون إلغاء لخصوصيتهما، فاللغة اللسانية سيميائياً تتجه للصرامة المفاهيمية.

يجري التمييز بين لسانيات اللغة كدراسة بنائية وبين لسانيات علمي النفس والاجتماع، كدراسات مُستحدثة بنوع من التحفيزات البراغمية المتناغمة مع العقل المنعكس للاستيمولوجيا والتي من الواضح أنها "تحتك مع العلميّة كاستقلال مذهبي للعلم"³ ومع ما خلفه ميراث الأركولوجيا (الما-قبل لسانية) ولقد قيل الكثير عن تأثيرات أنماط معرفية غير الاستيمولوجيا والاستيمولوجيا من نقديّات الزمن الميتافيزيائي وصارت المناهج النقدية المحدثّة تُركز نظرها على عناصر وخصائص اللسان التي ستعدّ بالتحديد موضوعاً خصباً لإطلاق نوع من الممارسة المنصبة على النسيج الكلامي للأحوال النفسية والاجتماعية؛ مع نسيان مؤقت لكون المعنى هو عين الوجود - أي الوجود اللغوي، ولا يعني ذلك أبداً أن اليقين التقيني لكيثونة اللغة غير ممكن، لكن كل ما هنالك أنه ضد استغلال نتائجها في فهم أقوال الواقع الارتدادي (من منظور النقد المعياري)... ومن على منبر آخر " سيميائيون يطمحون إلى استشراق خوارق الإشارات الصادرة عن الكون ككل؛ عن تلك النقطة الصغيرة في الكون المسماة اللغة "⁴ كمدخل لإعادة بعث إحدى محطات ماورثيات سيميوطيقة !.

واضح أنه يُرجى من الاستيمولوجيا في هذا الخضم، التقليص غير المباشر من آفة التسرع في اتخاذ الأحكام الناقدة، مع وجود ذلك التيار الفكري الذي سعى لإعادة الاعتبار لم يُسمى بنظريات المُعطى القبلي اللغوي؛ على أن المعاني التي تكون قائمة في البيئة هي مقاصد لا سيكولوجية ولا سوسيولوجية لنوع من الكتابة الفقه-لغوية مع إحياء التشعب التأصيلي للسان المخترق بمفرداته وعباراته للماهيات المجردات كأجناس؛ كأنواع للكليات وما يقابلها، وربما لأن البنيوية اقتصرّت على وصف التراكيب اللغوية وتحليلها بطريقة منهج البحث، وإن هذا كان مما أعطي الانطباع بأنها نسقٌ مغلق، وإن كنا لا ندري

كيفية زحزحة مباني المعاني نحو مورفولوجيتها البسيكو/ سوسولوجية كأثر ناجم عن تشابك علائق الحياة؛ أما السير باتجاه مسيرة خطوات الدرس اللساني ومواكبة تطورات نظرية ومنهجية لعلوم الإنسان فيبقى متفاوت القبول لدى المؤمنين بالعلم التجريبي، على أن الجزئية الأكثر إلحاحاً تهم كنه النقد السيميوطيقي الذي يتناول لغة النخبة شأنه شأن الفلسفة التي يدين لها و" ما عيب عن السيميائية كمنهج حدائثي ومعاصر على حد سواء أنها لم تتمكن من تشكيل منهج مستقل ومتكامل نظراً لاعتمادها على الدرجة الأولى على المعطيات الاجرائية البنوية"⁵...

إن قضايا فقه اللغة لا يمكن فصلها عن أنشطة الإنسان بدءاً بـ " حرية الإرادة " والتي تقع أول ما تقع مع واقعة " التكلم " من مبدأ التحدث الصادق سيكولوجياً وسوسولوجياً، وهناك من ذهب إلى حد اعتبار اللغة أساس الإحساس بانتماء الأفراد إلى جماعة الأمة الواحدة، وعلى كل حال يبدو أنه تتدخل لغة من خارج ذلك الشعور الخاص والخالص : لغة الضمير الجمعي لتوجيه حياتنا النفسية وجهة حكيمة؛ ثم لتتبلور بذلك أصناف الاستجابات والتجارب والانطباعات مع فكرة " المكانة " كواحدة من عناصر الوعي الذاتي باللقاء المشترك عند علماء النفس الاجتماعيين.

التكاملية السيمولوجية – الإستمائية :

بفضل مقارنة إبستمولوجية النظرة يصبح النقد طريقاً لإصلاح إنزلاقات اللسانيات فالمسألة اللغوية وموضوعية الحكم على الكلام الاستهلاكي من عدمه من جانب و أزمة الأنتلجانشيا - بوصفها نخبة واعية بما تقول- من جانب آخر تلقي بثقلها على الحضور الغالب للمضامين الدلالية الإشارية وهي التي تستدعي ذلك ثم إن تفحص محتويات التفكير اللساني دون تجريدات متعالية ستكون وراء كل تأسيس آتٍ لابستمولوجيا علم الأنساق الواقعي المتخصص في ربط اللساني بالسيميائي. ربما شهدنا عمّا قريب نوع من هيمنة النموذج التعريفي الابستمولوجي على ما عداها، بفعل ما تفرضه سلطة الخبراء من إنتقادية للمرجعيات الإشارية الترابطية؛ أما غيرهم فلا يزالون يتحدثون عن سيميائية " أنا " الذات اللغوية عينها لما تشابك مع بقية الذات فليست اللغة و"ليست الذات من المنظور السيميائي سوى شكل جديد للشخصية التي أغفلت كل جوانبها النفسية والاجتماعية"⁶

...على أية حال لطالما نظر بنوع من الريبة للسيميوطيقا المتعالية، كامتداد لوهج الفلسفة الأولى علاوة على صلة السيمولوجيا بثقافة النقد الابستمي غير الخفية وقد كانت كذلك طيلة فترة مستجدات التعيينات المغايرة عن علاقات الدوال بالمدلولات - محورا لـ "البحث عن أطر علمية جديدة"⁷ وتكييفها مع الأشكال السيميائية بخلق سياقات جديدة لطبيعة العلامة السيميائية بالموازاة مع المسعى الجاد لربط الصلة بين سيميائيات علم العلامات العام والتأويل الهرمنيوطيقي في معرض التحولات الكبرى التي سايرت الفكر القاري الغربي.

لا تحل انطولوجيا الفهم الجديد محل سيميائيات التأويل في نظرنا فمع التوجه الابستمي، وأفاق التنظيرات في الخطاب النقدي المعاصر الذي يُفصح عن أبنية دلالية مرتفعة عن سطح التراكم المعجمية مع توجه العلوم الإنسانية نحو التطبيق الإمبريقي كما هو حادث في الطرائق التهذيبية الخاصة (على غرار البحوث في العلاقة بين اللسانيات التعليمية وعلم النفس التربوي).

إن استيعاب الابستمولوجيا للسيميائيات في جزء منها - وربما العكس - يصدق في بعض الحالات ويتم في إطار علم نقد اللغة وفي كل ذلك تقدم للحراك الألسني الموجه والمطرّد التقدم، والجريئ أيضاً والذي تلا إسدال الستار على عروض فلسفات التحليل؛ ولما في ذلك من فائدة منهجية للتعريف بالنظرية السيميائية اللسانية والمسائل الإبستمولوجية اللغوية ذات الصلة بها، بمساعدة ضمنية من المفهومية السيمولوجية.

بدا أن التحليل السيميوطيقي تفكيكاتي أكثر، أما الشرعية النسقية من منظور آخر فليست حبيسة سُطور الكتابة التي لا تعدو أن تكون صور لمطابقات أسلوبية لوحداث نفس النظام الدلالي، إلى ذلك هناك من يرى -زيادة على ما سبق- أن ما خلف البنية الحرفية إن هو إلا التجربة السيمولوجية التي لما تلتقي مع أدوات المرجع النقدي للغة السيكلوجية، أوالسوسولوجية تتشكل الموصوفات التي تحترم الإجراءات النحوية عند مسك القلم، ثم يُقال لنا أن ذلك "الذي يكتب؛ أفضل من يرى الحياة"⁸ ... قد تكون هذه وجهة نظر الشارع أحياناً!! وإن ممّا يُعلم عند دارسي الفلسفة أن السيمياء الغربية في واحد من أقوى نماذجها تعود بنا لـ "دراسات كارناب في السيمانطيقا، أو علم المعاني التي يتجاوز فيها التحليل المنطقي اللغة"⁹

هذا يدل على أن السيمولوجيا قبل أن تقوم كفرع من الألسنية، تكلمت بنبرات المتفلسفين من أعلام الوضعية المنطقية الذين صعد نجم أساطينهم بالتساوق أو بالتوازي مع بلوغ ابستمولوجيا نظرية المعرفة العلمية أوجها - روبر بلانشي رائداً و نموذجاً - وكان الهدف المعلن معرفة الشروط الضرورية التي لابد لبنية اللغة من استيفائها حتى تكون قضايا اللغة ذات معنى بما فيها -كما مَرَبنا- بنية ترميز لغوية رياضية النزوع للغات الطبيعية المحكية.

عدّة مُطارحات على ميدان النقاش الثلاثي؛ الإنساني - اللساني - السيمولوجي نشطة جداً وهي تصب نقدها في بوتقة النقد ابستمولوجي؛ وإن كانت دراسة المناهج السيميائية تتكامل مع فلسفة العلوم؛ وتتم اليوم في أغلب مراكز البحث العلمي داخل أقسام الدراسات الإنسانية والاجتماعية من دون النيل من هيبة النظام الدلالي العام والموسوم بأنه ذو طابع تكاملي كذلك "على اعتبار التكاملية حركية العالم المفارقة واعتبارها بنية تخضع دائماً لحال تلاقي البنيات"¹⁰.

لحسابها الخاص الفلسفة السيميائية كوعي لساني -وليس لتجنب المآخذ ابستمية عليها- تستلف من لغة اللسانيات أحكم منطوقاتها لأجل تمحيص المنظومة التصنيفية للغة الحقيقة الإنسانية؛ كما في محاولة تصوير وظائف الاستعارات المكنية كشكل الرواية الشكلانية، بصيغات غير متحللة كليّة من الترميز الإيحائي للدلالات والقيم ثم إنه لا تحكم المبادرة السيمولوجية مبادئ عامة في كل اللغات أو اللهجات -وهي مشكلة بالأساس- عندما يتعلق الأمر بالتدقيق في المعاني والأفكار الأساسية، كما تقول الإبستمولوجيا في مطابقتها الاستقرائية للأمور التي من المفارقة أيضاً أنها لا تعتقد بقيام نماذج محددة في النقد.

التعليق على المقارنة :

إن التعليق على أيّ حضور متميز لأثر اللسانيات اللغوية على ابستمولوجيا العلوم الإنسانية له ما يُبرره خاصة بالنسبة لهذه الأخيرة؛ إذ يتعلق الأمر بإيديولوجيا أو بفلسفة لسانية في اللغة / أو للغة بحيث تكون معالم هذا العلم أو ذاك واضحة، ولا ريب أن التوصيف الأخير أشدّ ما يكون بُعداً عن الالتصاق بابستمولوجيا الدراسة التحليلية النقدية المقارنة، فلقد انقضى عهد شمولية التحليل والاستنتاج اللغويان؛ وصارت اللغة لساناً له طاقة حيوية وفاعلية، و فنيات تحريرية لا تنفصل عن ما يكتب عن اللازمة النسقية والبنوية مع السير باتجاه إنجاز نظرية "احتمالية" لانحوية يمكن أن تمكن من تعميم "اللايقين" على جميع أسلوبيات اللغات الإنسانية، وإذا كان ليس من المتيسر تحقيق مبدأ استقلال الذات الدارسة عن موضوع المعرفة، وهو ما قد يُعيد فيه النظر أساتذة العلوم الإنسانية، مع الدعوة إلى ضرورة تنشيط فلسفة القيم ابستمولوجية بحثاً في النظام الدلالي.

واضحٌ أن قيمة النتائج من قيمة المناهج فقد أبانت البحوث الألسنيّة والإنسانية عن درس تطبيقي منسجم الأجزاء منها ما هو خاص ببحث معين، ومنها ما هو مشترك كما هو الشأن في حقول تعليميات مصطلحات اللغات مع المقولات المتحركة مجدداً في مراتب وضروب "لايقينيات اللغة"¹¹.

لزمّت الإشارة كذلك إلى أن لغة الإبستمولوجيا - وهي من أعلى ما وصل إليه العقل النقدي الغربي - من مهامها أيضاً الكشف عن كل استغلال لنتائج البحوث اللسانية، فعلماء اللغة الألسونيين من واجبهم الأخذ بمعيار الأنساق، ويعد هذا أساساً للتفطن لاتساقية تكوّن نواة من فتويات فونيمية تحكم علاقة المعنى بالكلام؛ في حين أن علماء الفلسفة الإبستمولوجيين يُقيمون البناءات النقدية على التفكير فيما يفيدنا به البحث في المدلولات السيميوطيقية لعلم الرموز ووضع حجر أساس التعيد لها، يستدعي صناعة لمعرفة معنى المبنى.

الآن . في ظل هذه " العولمة " كنظام كوني جارف للغة، ومع غزو الواقع الافتراضي للواقع الحقيقي مستعينا بـ "الأنفو- الميديا" وبلسان التكنولوجيا الخلوية والرقمية بمعية الإعلام الجديد، وربما يزداد القلق الإبستمولوجي بفعل الصراع والتنوع اللغوي المتأزم مع الفجوة اللغوية وانعدام الأمن اللغوي، وكذا موت لهجات اللغات وما إلى هنالك من هذه الوقائع التي لم تعد مجرد توقعات؛ وبفعل مقولات النهايات المفتوحة والغامضة كنهاية التاريخ أو الإيدولوجيا... وحتى نهاية الفلسفة، العالم ربما !

بالعودة إلى ماهية الاندماج اللغوي يبدو أنه على الإبستمولوجي تغطية المسافة الفاصلة بين اللسانيات، والإنسانيات النفسانية والاجتماعية، ومرة أخرى إذا أمعنا النظر في التعريف اللغوي للإبستمولوجيا وتردداته الحديثة لوجدنا أن الأسئلة أقوى - لكي لا أقول أهم - من الأجوبة.

التعقيب على المفارقة :

أبحاث اللسانيات الآنية تتمتع بنوع من النظرة التقديرية على أن "اللسانيات علم استقرائي موضوعي تجريبي ومنهجي؛ أي يقوم على الملاحظات والفرضيات، والتجارب والمسلمات، ويُعنى بالحقائق اللغوية القابلة للاختبار وبالمبادئ الثابتة ويقتن نتائجها في صيغ مجردة أو رموز جبرية رياضية " و" ليس كل ما تدرسه الفروع اللسانية يتمتع بدرجة علمية غير قابلة للنقاش "¹²

هذه العبارة الأخيرة مبرر قوي لإقحام الإبستمولوجيا فيها؛ على أمل ترسيخ نقدية العملية التواصلية فمسائل ومشاكل اللسانيات العامة من جانب، ومن جانب آخر الإبستمولوجيات الخاصة لعلوم النفس والاجتماع وغيرها ستسيل الكثير من الحبر، وكذا ردود الأفعال منها الناقدة والمنتقدة ومنها ما يحمل سمات استشراقية لتلك المسائل / المشاكل، مع الدعوة إلى مراجعة المواقف المعادية للميتافيزيقا الفيلولوجية والأنثروبولوجيا الأركيولوجية بكل مرونة، بحيث لا يُستعاض بها عن توظيف اللغة لأغراض غير معدومة القدرة على تصنيف شيء من التنظيرات حول التطورات والفرضيات التكافؤية المجددة لمنعطف نظرية وظائف اللغة الرئيسية منها والثانوية .

السبيل إلى رفع اللبس الممكن أن يحصل بين الفروع اللسانية متعددة المشكلات اللغوية، وبين النظريات النقدية المرافقة هو بالضرورة مطلب مختلف الفرقاء، وتكريسه كجهد هو بمثابة دعوة لإقامة نسق معطيات تشتمل وضع جدول تغيرات دلالي إبستمولوجي بما للكلمة من وزن ولو في سياقات فرعية، مع مراعاة القواعد النظامية لها، ثم إن الإبستمولوجيا الحقة ليست في الحقيقة علماً ينظاف لغيره من العلوم اللسانية أو الإنسانية - ولا حتى الحسية التحقيقية - لكنها تأتي بعدها كلها تفهمها. تحلل طرائقها. مبادئها. وخاصة لغتها أين توضع تحت مجهر التقويم الإبستمولوجي المزدوج

التقديرات وبمعية النزعة النقدية ذات الخصوصية التشاركية بين مناهج البحث البنيوي العملي، وبين مناهج البحث في البناءات الأساسية المغربية لجواهر الحقيقة الإنسانية، مع محاولة رفعها إلى منزلة البحث الذي يحل محل المشكلات العويصة التي ظلت تطبع جوهر قضايا اللغة، وكل ظاهرة بشرية من خلال النظر في "التركيب الداخلي" للمنهجية اللسانية المتمتعة بضروب الخواص الإبستمولوجية الفكرية، عقب توسيع نطاق توليدية البنية بمفهومها القابل للاشتقاق ومع التخلي عن الوضع المنطقي للغة جزئياً وعن الأفكار التي تتغنى بالحمية الكلاسيكية واليقين "النيوتني" الطبيعي والفيزياء الاجتماعية، وقع إعادة تشكيل علاقات العلة بالمعلول في العقل المقارب بحسب جمهور الألسنيين، ومرة أخرى كل دحض للغة يحتاج للغة؛ ثم إن كل تفتيش عن أصناف التكافؤ اللساني / الإنساني سيحتاج إلى (بيان) لتبيين أن المعرفة التي تبحث في سلوكية الجانبين النفسي والاجتماعي "الكلامية". الكلام نفسه ظاهرة جمعية، وإن لم يكن هذا بادي للعيان - لابد لها من ابتدار الاشتغال على نظرية عامة جديدة لها، وقد اتخذ فريق من الباحثين منها موضوعاً للنشاط الفكري باسم القواعد التحليلية التوليدية للنظرية الدلالية.

على مدرج الكليات اللغوية يبدو أن الباحثين الشباب عليهم أن تكون لهم عينٌ على مستجدات اللسانية، وأخرى على المعقبات الإبستمولوجية عليها مع التركيز جيداً مع صوت فكر المعرفة الإنساني والملاحظ أن ذلك ينم عن ترتيبات مستقبلية مرحلية مُستجدة سوف تخلو من التعقيدات، وتحوز على نوع من الإقرار بتنظيرات تعرف بقانون اللغة الجاري الحقيقي، والذي يتحكم في اتجاه تغيراته منهج اللسانيات والمناهج المطبقة في بقية علوم الإنسان.

كنتيجة لأحكامنا التعقيبية نعتبر بالفعل " أن الفلسفة عليها، وينبغي لها أن تعود إلى احتلال مكانها في الحقل العام للكتابة: لا الكلام "13 والكلام هذا ل جاك دريدا على أن الفلسفة لا تتكلم عن الاختلاف بأسلوبها الخاص فقط، إنما تتخذ من الآراء الحرة والنقدية القوية - وهي إحدى المنعكسات الدالة على مصداقية التنظير الإنتقادي الخاص بها - امتداداً لحوار حر يُبحث بين الإبستمولوجيين والألسونيين.

التقييم مع المقاربة :

صحيح أن المشكلات بيّنة ومحض مسائل خلافية؛ لكن وُضوح المشكلات لا يعنى وضوح حلولها؛ هذا ما تقوله الإبستمولوجيا نفسها على الأقل، وما من دروس - مع تعميق النظرة التقييمية - في فلسفة العلوم الإنسانية. في اللغة. في السيكلوجيا والسوسيولوجيا أو في اللسانيات العامة أو في الإبستمولوجيا ك " فلسفة علم " إلا ولها " نقد " كل على حدا، أو كلها معاً فوجب على الباحثين النهل منه على أن الأمر لا يقتصر على أساتذة وطلبة هذه التخصصات وحدها، وعلى الرغم من كل ما قيل بشأن منزلة اللغة اللسانية فإن الإنسان لا يحيا في الرموز - كما لا يحيا في الزمن بالمطلق - بل إن الرموز هي التي تحيا في " الإنسان كإنسان " وتجري عليها نواميس حياته منذ بدأ يدب على الكرة الأرضية... ثم إن اللغة العادية ليست مثالية خالدة -إلا ما شاء ربك- بل هي من حاجات العقل التطوري الذي وُفق في وضع قواعد نحوها ورسمها؛ لذا نعتبر أن الحكم اللغوي ينحل إلى مجموعة من الخدوس الذهنية الفاصلة بين الوظائف المحددة الحالات كما حددها اللسانيين .

... هكذا بُعيد التنازل الآخر من طرف الإبستمولوجيا التكوينية الخاصة عن المقولة العازلة التي ترفع الإنسان فوق الموضوعات، ثم إن الدرس اللساني التوليدي نموذجاً هو وريث فكر اتجاهات أبحاث المعنى؛ فنظريات ألسنية عامة بما فيها الدوسوسيورية والتشومسكية، إنما استندت إلى بعض القواعد التقليدية المتعلقة بمقتضيات تفكير منطقي أبجدي صوري لأجل تحكيم القواعد الضابطة للكلام، ولصياغة وتحرير أفكار عن الكثير من علاقات العلامات البنائية .

الآداء الاستيمولوجي المُحدث عنه كان تتويجاَ لهضة ألسنية من نوعها تزامنت - على رأي ليفي ستراوس - مع خطوات مرحليّة هامة مُطبقة لشروط عقلانية العلوم الإنسانية، التي لم تعد ترحب بمذاهب في القيم الكلاميّة؛ الجماليّة الخلقية فحسب، بل انفتحت على أكثرها إثارة لعاملي مؤثرات الخبرة النفسيّة، والنشاط الاجتماعي بالخصوص، لكي لا تبقى للقارئ على المنتقدين حُجة يقارعون بها بما فيها حُجة ترك اختصاص البحث في جزئيات "الميتا-لغويات" الما-فوق لسانیّة.

في الختام ..

التحليل المركز لأنثروبولوجيا ثم لفلسفة اللغة والمنعطف اللساني، ومن بعده نظرية اللغة والتوجه الإستيمولوجي مباحث كبرى لهذه الدراسة، وإن كان الغرض من هذا منهجي إلا أننا حاولنا تعميق القراءة النقديّة السريعة في ماهيّة الدلالات التي عليها نتحدث... مرجعيتنا هي منطلقات التناول اللغوي الموضوعي المتسم بالأصالة والابتكار. قد نكتفي بالقول أن إعادة اكتشاف اللغة . كنسق كماهية ذاتية كظاهرة تواصل؛ هي محرك البحث الأول في مقابل رغبة للغوص في نظريات اللسانيات كدراسة علمية للغات الإنسانية مع تسليط ضوء الانتقادات الإستيمية في الانجاهين.

في نهاية هذا العمل إنها -على الأرجح - مجرد إحياءات ذاتية: أين نحنُ . أو ما موقف الفقه والوعي العربي التليد من المسألة المتعلقة باللسانيات اللغوية الحديثة! أين رأينا في استيمولوجيا علوم الإنسان الاجتماعية؟ ... وماذا عن النظرة الحاضرة لفكرنا اللغوي وإشكالات النهوض؟ ... من هنا نحنُ بحاجة إلى مراجعات لآلية انضمام الذهنية العربية لـ " عولمة " اللسان وكذا للإدلاء بدلوها في أومع مواقف الحداثيين الغربيين؛ وبالتالي قد تتمكن من الخوض في لجج مناهج النقد المعاصروأتون هذه القضايا التي تبلغُ معها تلکم " المناولة " التفكيرية الاستيمولوجية عندهم ذروة العطاء.

منذ امتلاك "اللغوس" النحوي أو(الكلمة) وإلى غاية التحليل، والتحليل المضاد الذي أتت به الفلسفة الوضعية المنطقية والدراسات الألسنية العقلانية المعاصرة في ميدان اللغة، يُمكننا أن نتصوّر عدد المؤلفات التي تعدّ مرجعا في هذا الإطار، وتجردا من الاعتبارات الذاتية، لا يسعنا إلا الانهيار بعدد من يكتب وأعداد من يقرأ في أوروبا وأمريكا؛ فمتى تكون الحكمة الفكرية والفلسفية ظآلتنا؟! .

- 1- سامي أدهم، فلسفة اللغة -تفكيك العقل اللغوي- المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت ط 1 1993 ص.173
على أن الاستيمولوجي ليس وحده في الميدان؛ هناك مُنتجي "الخطاب" الآخرون من مفكرين وباحثين؛ إضافة إلى أن ممارسة أفعال اللغة كـ "دلالة" بحاجة إلى قارئ، ومُحلل وهذه من بنات أفكار ما بعد البنيوية.
- 2- F. de Saussure; cour de linguistique generale. ed-talantika -bejaia -; p.25 suiv " Linguistique de la langue et linguistique de la parole"
سيُوضع جسْرُ بين النظرية اللغوية التواصلية؛ والنظرية التوليدية، أيضاً القواعد اللسانية - التي أنتجت النظرية التحويلية - يُعمل على سحبها على معظم اللغات الحية.
- 3- أبوعرب المرزوقي؛ الاستيمولوجيا البديل - الدار المتوسطة للنشر. تونس ط 1 2007 - ص.136
بمنطق الاستيمولوجيا اللغوية يستوقفنا ما لخصه اللغوي الأمريكي أدوار ساير من أن اللغة فضاء تواصل. (E. Sapir 1884-1939) هو رائد البنيوية الأمريكية له "مقدمة في دراسة الكلام" لكن ارنست كاسير ظلّ يُصر على أن البُعد الرموزي هو نسقٌ فرضيٌ علاماتي بالتحليل التوزيعي. أما (تروبتسكي 1890-1938 Troubetskoï) العالم الروسي الفذ يُعتبر من مؤسسي فونولوجيا البنيويات الصوتية.
- 4- فيصل الأحمر؛ الدليل الاستيمولوجي منشورات دار الأملية، قسنطينة الجزائر، د ط 2011 ص.19
- 5- المرجع نفسه - ص.45
- 6- مجلة الباحث - العدد الثالث / مقال بعنوان: من سيميائية العوامل إلى سيميائية الأهواء - الصفحة 203
- 7- Pierre Girard; philosophie du langage; Ed-Delagrave - paris 1976 PP.71-72
" C'est bien regarder la vie " !
- 8 - pour plus de details.. entretien, reuve (facila) c.i.l.a alger 2007. (Salon de livre)
- 9- عطيات أبو السعود؛ الحصاد الفلسفي للقرن العشرين. منشورات المعارف، الإسكندرية دط. دت. ص 24
- 10- إدوار مورسير؛ الفكر الفرنسي المعاصر. عادل العوا؛ منشورات عويدات. بيروت ط 1 1978 ص.74
- 11- Jean Paulhan ; les incertitude du langage, éd- Gallimard . 1970 p.28
- 12- أحمد مومن؛ اللسانيات. النشأة والتطور؛ ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر ط 4 2008 [التوطئة ص. VI]
يرجى مراجعة حوار أجري مع شبكة صوت العربية 2008-07-05 أنظروا بوابة واب Voice of arabic. net
- 13- معجم الفلاسفة جورج طرابيشي - دار الطليعة للطباعة. بيروت ط 3 2006 حرف " دال " ص.283

أولاً: مصنّفات أبحاث لسانیّة ؛ فلسفة اللغة / مؤلفات الابستمولوجيا- فلسفة العلوم::

- 1- رولان بارت ؛ المغامرة السيمولوجيّة _ ترجمة عبد الرحيم حزل. دار الأمل للطباعة والنشر. مراكش 1993
- 2-Ferdinand desaussure; cours de linguistique général, ed-talantika. Bejaia.2002
- 3-Naom Chomsky; langage et pensée_Trad.Luis calavet, ed-Payot paris 1968
- 4- أحمد مؤمن؛ اللسانيات / النشأة و التطور- ديوان المطبوعات الجامعيّة. الجزائر ط4 - 2008
- 5- عبد القادر الفاسي الفهري؛ اللسانيات واللغة العربية - نشر دار توبقال. الدار البيضاء، ط1 1983
- 6 - Henri Bergson; écrit et parole.Textes -Vol.III p.u.f - paris 1^{er} ed 1959
- 7- أبو يعرب المرزوقي؛ الابستمولوجيا البديل، الدار المتوسطة للنشر. تونس - ط1 2007
- 8- الزواوي بغورة؛ الفلسفة واللغة / نقد المنطق اللغوي - دار الطليعة للطباعة. بيروت ط1 - 2005
- 9-pierre petite Girard; philosophie de langage - Ed-Delagrave - paris,1976

ثانياً: مناهل علوم إنسانية - السيكلولوجيا والسوسيولوجيا :

- 10- عطيات أبو السعود؛ الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشورات مُنشأة المعارف. الإسكندرية دط - دت
- 11- Jean Stœtzel; la psychologie sociale, Ed- Flammarion - paris 1978
- 12-أوليفر ليتمان؛ مستقبل الفلسفة في القرن الـ21 ت.مصطفى محمود -م و ث ف آ الكويت دط 2008
- 13- موريس روكن؛ تاريخ علم النفس؛ ت. علي زيعور - مطبوعات دار الأندلس ، بيروت _ دط دت
- 14-غاستون بوتول؛ تاريخ السوسيولوجيا؛ ت. ممدوح حقي - منشورات عويدات، بيروت ط1 1977
- ثالثاً : معاجم . كراسات . دراسات . مجلات...
- 15_ معجم الفلاسفة / جورج طرابيشي؛ دار الطليعة للطباعة و النشر. بيروت ط3 2006
- 16_ الدليل السيمولوجي / فيصل الأحمر_ منشورات الأملعيّة للنشر والتوزيع - قسنطينة، دط 2011
- 17_ مجلة الباحث ؛ العدد الثالث ، نشر قسم الدراسات العليا م ع أ. بوزريعة. الجزائر- 2010/06
- 18_ دراسة لمحيّ الدين محسب؛ اللغة والفكر والعالم، مكتبة لبنان ناشرون. بيروت ط1 1998
- 19_ دراسة لـ حبيب مونسي؛ فلسفة القراءة وإشكاليّة المعنى/المعياريّة النقديّة، دارالغرب. وهران دط 2008
- 20_ مواقع، ومدونات معرفيّة، على مستوى الشبكة الافتراضيّة (محركات بحث بالإنترنت wikipedia.org)